كتاب
تاريخ بيروت

لصالح بن يحيى (تابع لما سبق)

ذكر التجريدة[1] الى الكرك

لما تسلطن السلطان الملك الناصر احمد ابن الملك الناصر بن محمد بن قلاوون في الكرك اقام فيها أيامًا في لهو ولعب فانكروا عليه امورًا لا تليق بالسلطنة. فاتفق اهل الشام على خلعه وارسلوا المصريين في ذلك فاجابوهم وسلطنوا اخاهُ الملك الصالح اسماعيل ابن محمد بن قلاوون في شهر محرَّم سنة ثلاث واربعين وسبعمائة (١٣٤٢ م) وتجرَّدت العساكر الى الكرَك لحصار السلطان احمد وكان توجّه العسكر الشامي الى الكرك في نهار الخميس سابع عشر ربيع الاوَّل من السنة المذكورة. وكان ذلك في اواخر ولاية علاء الدين ايدغمش في نيابة الشام (٢. وفي شهر رجب من هذه السنة تولّى نيابة الشام سيف الدين طقزدمر (٣ بعد وفاة ايدغمش الذي كان تولّى في صفر من هذه السنة المذكورة. وبرزت المراسيم (48v) بتجريد الرجّالة من المعاملات فجهَّز ناصر الدين الحسين اخاهُ عزَّ الدين الحسن بن خضر الى الكرك وصحبتهُ جمال الدين ابن سيف الدين وعزّ الدين بن عماد الدين وسعد الدين سعيد ابن ناصر الدين ابي الفتح ابن سعدان من بني ابي الجيش وصحبتهم جماعة. ولم اقف على تاريخ يوم توجههم لكن رأيتُ بخطّ ناصر الدين الحسين ما هذه صورتهُ:

ورد الخبر الذي أَلَمَّ القلوب وجدَّد المكروب نهار الثلثاء تاسع عشر جمادى الآخرة سنة ثلاث واربعين وسبعمائة انَّ الاخ عزّ الدين الحسن تغمَّدهُ الله برحمته ورضوانه استشهد

---

١) التجرَّيدة كالتجرّدة البعثة الحربية وجماعة الجنود

٢) خدم الامير ايدغمش الملكَ الناصر محمَّد بن قلاوون وتقلَّب في المناصب العالية وصار امير آخور وبقي في رتبته بعد وفاة الناصر الى ان تولى نيابة الشام ومات سنة ٧٤٣ (١٣٤٢م)

٣) كان طقزدمر احد كبار الامراء في ايَّام الملك الناصر محمَّد بن قلاوون جاء ذكرهُ مرارًا في تاريخ مصر لابن اياس وهو باني القنطرة التي على الخليج الحاكمي تولّى نيابة حلب والشام ثم صار نائب السلطنة في ايَّام الملك المنصور ابن الملك الناصر فلمَّا صار الملك لاخيه الاشرف نفاهُ الى دمياط وسجنهُ الملك الكامل شعبان في الكرك. توفي سنة ٧٤٦ هـ (١٣٤٥ م)

نهار الثلثاء تاسع عشر جمادى الآخرة سنة ثلاث واربعين وسبعمائة بظاهر الكرك وهو نهار وصوله بمن معهُ. فقاتل وقُتل رحمهُ الله. وأُسر سعد الدين سعيد ابن ناصر الدين ابن سعدان من وقتهِ وهرب الباقي وتركوهُ يقاتل خلقًا كثيرًا من اهل الكرك وكان المكان وعرًا فلم يقدر ان يركب فرسهُ

ذكر تجريدة ناصر الدين الحسين الى الكرك

برزت المراسيم الى جميع ولايات الاعمال الشاميَّة بتجريد العُشران وغيرهم الى الكرك وعيَّنوا على معاملتي صيداء وبيروت خمسمائة راجل على كل منهما ميتين وخمسين راجلًا. فتوجَّه ناصر الدين الحسين بمن معهُ نهار الثلثاء خامس ذي القعدة (46) سنة ثلاث واربعين وسبعمائة (١٣٤٣ م) ولاقاهُ رجالة الجُرد فُحِّجة مُقدَّمهم الى البقاع نهار الاربعاء. ودخلوا دمشق نهار الجُمعة وتوجَّهوا منها نهار الثلثاء ثاني عشر ذي القعدة وساروا مرحلةً بعد مرحلةٍ فوصلوا الى الكرك اوَّل ذي الحجة من السنة المذكورة

وكان المقدَّم على العساكر رُكن الدين بيبرس الاحمديّ ومسعود الخطيريّ وابن قرا سنقر. واما بيبرس الاحمدي فكان المقدَّم الكبير. ووجدوا في القلعة مع السلطان احمد خلقًا كثيرًا وقد نصبوا على القلعة في اعلاها خمسة مجانيق ومدافع كثيرة. وكان الكركيُّون يظهرون من باب القلعة ويقاتلون احيانًا كثيرة وكان الحصار والزحف مستمرًّا. ونصب المحاصرون على القلعة منجنيقًا يرمي بحجار وزنها خمسة وثلاثين رطلًا. وكان علاء الدين ابن صبيح يأخذ رجالة البقاع وصيداء وبيروت ويزحف بهم وناصر الدين الحسين معهُ. وعند آخر الشهر طلب رجالة المعاملات دستورًا فما مكَّنوهم من العود الى بلادهم وكانوا قد ضجروا عليهم اغتنامًا فابوا اخذها ولم يُفدهم ذلك وفي بعض الزحفات انتصر الكركيُّون عليهم وجُرح من جماعة ناصر الدين ثلاثة نفر منهم ناصر الدين ابو الفتح ابن معن وسعد الدين سعدان وابرهيم محروق من عالّيه وقُتل ابو النجم من المعروسيَّة

وذكروا انَّ غلام سَعْدان المذكور هرب من الطيقان وطلع الى القلعة فمحلع عليه السلطان احمد وزفُّوهُ دائر القلعة والناسُ ينظرون اليه من الطيقان. وبعد هذه الحوادث رجع الى الاوطان. وكان يحكي عن السلطان (49) احمد انَّهُ كان شابًّا حسن الشكل عَبْل البدن وكان يلبس ملبوس العرب ووسَّع اكلهُ على زيّ الكركيين وكان يُظهر لهم

انهُ لبس هذا الزيّ محبّةً فيهم. وكان يجلس كل يوم بين شراريف القلعة ويرمي سبع سهام صيغت نصولها من فضّة. وشاة بذهب كانت تدلُّ على قوّة قوسه. وكان اذا اراد ان يرمي السّهم رفع يدهُ التي فيها القوس فيسقط كُمُّهُ من سعتهِ الى كتفهِ حتى يبان شعر ابطهِ وكان غليظ الذراع ابيض اللون

وحُكي انَّ البعض احضروا لناصر الدين الحسين وهو بالكرك سهمًا من النشّاب المذكور ذي نصل الفضّة الحلّى بالذهب فاذا به نصلٌ عريضٌ ثقيلٌ يدلُّ على قوّة قوسهِ وقد نُقش عليهِ هذان البيتان:

ومن جودنا نرمي العُداةَ بأسهمٍ من الذهب الابريز صيغت نصولها
يداوي بها الجروحُ منها جراحَهُ ويشري بها الاكفان منها قتيلها

فلمّا قرأها ناصر الدين قال: وأيّ شيء كان احمد من هذين البيتين. وهما للامين بن هرون الرشيد وكان لمّا حضرهُ عبدالله بن طاهر في بغداد بعساكر اخيهِ المأمون صنع نصول النشّاب من خالص الذهب ونقش عليها هذين البيتين

واستمرّ ناصر الدين الحسين بن معهُ بالكرك الى سابع عشر سنة اربع واربعين وسبعمائة (١٣٤٣ م). وصرف الاحمديُّ على رجّالة بيروت الفًا ومئتين درهم نفقةً عن كل يوم (٥٣) لكلّ راجل درهم (ستأتي البقية)

السفر العجيب الى بلاد الذهب

للاب اميل ريتو اليسوعيّ (تابع لما سبق)

ولما انتصف النهار في اليوم التالي وقرس البرد هبّت زوبعة خفيفة فاضطربت الامواج بعض الاضطراب ولكن ما فتئت البواخر الكبيرة تدخل وتخرج ناقلة المسافرين والبضائع الاوربية او مقلّة الركّاب والشحونات من العالم الجديد الى اوربة. وكان المعارف والاصحاب يتصافحون بولاء اذا ما التقوا على ظهر السفن او في القوارب. وأما رصيف الشاطئ الذي قامت عندهُ مدينة نيويرك فهو رصيف في غاية الاتّساع والرحابة يتارج فيهِ الخلق تمأوُّج البحر الخضمّ

وكان فاضل قد لازم المحلّ الذي دفعتهُ اليهِ يدُ الشرطيّ الاميركي فلم يتقلقل منهُ طول